$لمحة عن الفرق الضالة

[نص محاضرة ألقاها الشيخ: صالح الفوزان بمدينة الطائف، يوم الاثنين، الموافق: 3/3/1415 هـ في مسجد الملك فهد بالطائف.]

$المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمـد، وعلـى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الحديث عن الفرق ليس هو من بـاب السـرد التـاريخي، الـذي يقصد منه الاطلاع علـى أصـول الفـرق لمجـرد الاطلاع، كمـا يطلـع على الحوادث التاريخية، والوقائع التاريخية السابقة، وإنما الحـديث عن الفرق له شأن أعظم من ذلـك؛ ألا وهـو الحـذر مـن شـر هـذه الفـرق ومـن محـدثاتها، والحـث علـى لـزوم فرقـة أهـل السـنة والجماعة.

وترك ما عليه الفرق المخالفة لا يحصل عفوا للإنسان، لا يحصل إلا بعد الدراسة، ومعرفة ما الفرقة الناجية ؟

من هم أهل السنة والجماعة، الذين يجب علـى المسـلم أن يكـون معهم ؟

ومن الفرق المخالفة ؟.

وما مذاهبهم وشبهاتهم ؟. حتى يحذر منها.

لأن (من لا يعرف الشر يوشك أن يقـع فيـه)، كمـا قـال حذيفـة بـن اليمان - رضي الله عنه - :

(كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عـن الخيـر، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر ؟. قال: " نعم ". فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير ؟. قال " نعم، وفيه دخن ". قلت: وما دخنه ؟. قال: " قوم يستنون بغيـر سـنتي، ويهدون بغير هديي، تعـرف منهـم وتنكـر ". فقلـت: هـل بعـد ذلـك الخير من شر ؟. قال: " نعم، دعاة على أبواب جهنـم، مـن أجـابهم إليها قذفوه فيها ". فقلت: يا رسول الله، صفهم لنا. قـال: " نعـم، قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ". قلت: يا رسول الله، فما ترى إن أدركنـي ذلـك ؟. قـال: " تلـزم جماعـة المسـلمين وإمـامهم " فقلت: فإن لم تكن لهم جماعـة ولا إمـام ؟. قـال: " فـاعتزل تلـك الفرق، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يـدركك المـوت، وأنـت علـى ذلـك ") [رواه البخـاري فـي صـحيحه : (3606) و(7084)، ومسلم في صحيحه - أيضا -: (1847)، وأحمـد مطـولا: (5/386، 403) ومختصـرا: (5/391، 399) ومختصـرا بلفـظ مختلـف: (

5/404)، وأبـو داود السجسـتاني: (4244)، وبلفـظ مختلـف: (4246)، والنسائي في الكبرى: (5/17، 18)، وابن ماجه: (4027) و(4029)، وأبـو داود الطيالسـي فـي مسـنده : (442)، وبلفـظ مختلف: (443) ص 59، وأبو عوانة في الصحيح المسند: (4/474 و 475)، وعبد الرازق في مصنفه: (20711) (11/341)، وابـن أبـي شـيبة فـي كتـاب الفتـن: (2449) و(8960) (18961) و(18980)، والحاكم في مستدركه ؟!!: (4/432) وصـحح إسـناده، ووافقه الذهبي ؟!.]

فمعرفة الفرق ومذاهبها وشبهاتها، ومعرفـة الفرقـة الناجيـة، أهـل السنة والجماعة، وما هي عليه؛ فيـه خيـر كـثير للمسـلم، لأن هـذه الفرق الضالة عندها شبهات، وعنـدها مغريـات تضـليل، فقـد يغـتر الجاهل بهذه الدعايات وينخدع بها؛ فينتمي إليها، كما قال صلى الله عليه وسلم لما ذكر في حديث حذيفة :

(هل بعد ذلك الخير مـن شـر؟. قـال: " نعـم، دعـاة علـى أبـواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها ". فقلت: يا رسول الله، صفهم لنا. قال: " نعم، قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ").

فالخطر شديد، وقد وعظ النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ذات يوم - كما في حديث العرباض بن سارية - :

أنه وعظهم موعظـة بليغـة، وجلـت منهـا القلـوب، وذرفـت منهـا العيون. قلنا: يـا رسـول اللـه كأنهـا موعظـة مـودع فأوصـنا. قـال: (أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد؛ فـإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها، وعضـوا عليهـا بالنواجـذ، وإيـاكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكـل بدعـة ضـلالة). [رواه أحمد في مسنده : (4/126)، (4/127)، والترمذي: (2676)، وأبو داود: (4607)، وابن مـاجه: (34) فـي المقدمـة، والـدارمي فـي سننه : (95)، وابن حبان في صحيحه : (5)، والطبراني في الكبير: (18/617، 618، 619، 622، 623، 624، 642)، والآجري في الشريعة ص: (46 - 47)، وابن أبي عاصم في السنة: (27، 32، 57، 54)، وابـن بطـة العكـبري فـي الإبانـة الكـبرى: (142) (1/305)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: (81)، ومحمد بن نصر المروزي في السنة ص: 21، والبغوي في شرح السنة : (205) وفـي تفسـيره : (3/209)، والطحـاوي فـي مشـكل الآثـار : (2/69)، والـبيهقي: (6/541)، والحـاكم فـي المستدرك : (1/96 - 97).]

فأخبر صـلى اللـه عليـه وسـلم أنـه سـيكون هنـاك اختلاف وتفـرق وأوصى عنـد ذلـك بلـزوم جماعـة المسـلمين وإمـامهم، والتمسـك

بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وترك ما خالفها من الأقـوال، والأفكار، والمذاهب المضلة، فإن هذا طريق النجاة، وقد أمر الله - سبحانه وتعالى - بالاجتماع والاعتصام بكتـابه، ونهـى عـن التفـرق، قال - سبحانه - :

{وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْـلِ اللّـهِ جَمِيعـاً وَلاَ تَفَرَّقُـواْ وَاذْكُـرُواْ نِعْمَـتَ اللّـهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَـأَلَّفَ بَيْـنَ قُلُـوبِكُمْ فَأَصْـبَحْتُم بِنِعْمَتِـهِ إِخْوَانـاً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّـهُ لَكُـمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [سورة آل عمران].

إلى أن قال - سبحانه وتعالى - :

{وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِـن بَعْـدِ مَـا جَـاءهُمُ الْبَيِّنَـاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [قال البغوي - رحمه اللـه - فـي تفسـير هذه الآية (2/86): (قال أكـثر المفسـرين: هـم اليهـود والنصـارى. وقال بعضهم: المبتدعة من هذه الأمة. وقال أبو أمامة - رضي الله عنه -: هم الحروريـة بالشـام - أي: الخـوارج -. قـال عبـد اللـه بـن شداد: وقف أبو أمامة وأنا معه على رأس الحرورية بالشام فقـال: " هم كلاب النار، كانوا مؤمنين فكفروا بعد إيمانهم "، ثم قرأ: {وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْـدِ مَـا جَـاءهُمُ الْبَيِّنَـاتُ} إلـى قوله - تعالى -: {أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}) اهـ.] * يَـوْمَ تَبْيَـضُّ وُجُـوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ}. [سورة آل عمران].

قال ابن عبـاس - رضـي اللـه عنهمـا -: (تـبيض وجـوه أهـل السـنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة) [ذكـره البغـوي فـي تفسيره : (2/87)، وابن كثير: (2/87) طبعة الأندلس].

وقال - سبحانه وتعالى - :

{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِـي شَـيْءٍ إِنَّمَـا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّـهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ} [سورة الأنعام].

فالدين واحد، وهو ما جاء به رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم، لا يقبل الانقسام إلى ديانات وإلى مذاهب مختلفة، بل دين واحـد هـو دين الله - سبحانه وتعالى -، وهو ما جاء به رسوله صلى اللـه عليـه وسلم، وترك أمته عليه، حيث ترك صلى الله عليه وسلم أمته على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

وقال صلى الله عليه وسلم: (تركت فيكـم مـا إن تمسـكتم بـه لـن تضلوا بعدي أبدا: كتاب الله، وسـنتي) [رواه مالـك فـي الموطـأ: (2/1899)، والحاكم فـي المسـتدرك : (1/93) موصـولا عـن أبـي هريرة - رضي الله عنه -.

ورواه مطولا دون لفظة وسنتي مسـلم: (1218)، وابـن مـاجه: (3110)، وأبو داود: (1909) من حديث جابر بن عبد اللـه - رضـي

الله عنه -، وفيه صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم وخطبته بهم].
وما جاء التفرق في الكتاب العزيز إلا مذموما ومتوعدا عليه، وما جاء الاجتماع على الحق والهدى إلا محمودا وموعودا عليه بالأجر العظيم، لما فيه من المصالح العاجلة والآجلة.
وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في السنة أحاديث كثيرة تأمر بلزوم الجماعة [قال ابن حجر في " الفتح ": (13/391): (... وورد بلزوم الجماعة في عدة أحاديث، منها: ما أخرجه الترمذي مصححا من حديث الحارث بن الحارث الأشعري - رضي الله عنه -، فذكر حديثا طويلا وفيه: (وأنا آمركم بخمس أمرني الله بهن: السمع، والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة، فإن من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه). (رواه مرفوعا الإمام أحمد في مسنده : (4/130، 4/202، 5/344)، والترمذي (2863 - 2864) وقال: حديث حسن صحيح غريب). وفي خطبة عمر المشهورة، التي خطبها بالجابية: " عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد " (رواه مرفوعا الإمام أحمد في مسنده : (1/18)، والترمذي في سننه : (2165)، والنسائي في " الكبرى ": (9219) (9226)، والبغوي في تفسيره : (2/86)، وابن أبي عاصم في " السنة ": (86 _ 88)، واللالكائي في " شرح أصول اعتقاد أهل السنة ": (1/106 - 107)، والحاكم في " مستدركه ": (1/114) وصححه، ووافقه الذهبي). وفيه: " ومن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ". قال ابن بطال: " مراد الباب الحض على الاعتصام بالجماعة... والمراد بالجماعة أهل الحل والعقد من كل عصر " وقال الكرماني: " مقتضى الأمر بلزوم الجماعة أنه يلزم المكلف المتابعة لما أجمع عليه المجتهدون "...) انتهى من فتح الباري. وقال الترمذي في سننه بعد الحديث رقم (2167): (وتفسير الجماعة عند أهل العلم هم: أهل الفقه، والعلم، والحديث) انتهى. ولأهمية هذا الأمر بوب البخاري - رحمه الله - في صحيحه: (باب.. وكذلك جعلناكم أمة وسطا.. وما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلزوم الجماعة، وهم أهل العلم). وبوب النووي في صحيح مسلم: (باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال، وتحريم الخروج على الطاعة، ومفارقة الجماعة). وبوب الترمذي في سننه باب ما جاء في لزوم الجماعة. وكذلك بوب الدرامي في سننه بابين فيه، أولهما في " كتاب السير ": (باب في لزوم الطاعة والجماعة)، والآخر في " كتاب الرقاق ": (باب في الطاعة ولزوم الجماعة). وبوب الآجري في " الشريعة " بابين - كذلك -، الأول: (باب ذكر الأمر بلزوم الجماعة)، والثاني: (باب ذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم أمته بلزوم الجماعة، وتحذيره إياهم الفرقة) وغيرهم من أئمة الحديث ثم ساقوا - رحمهم الله - بعد ذلك الأحاديث التي جاءت في ذلك، ومنها: حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر، فإنه ليس من أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت إلا مات ميتة جاهلية). (رواه أحمد في مسنده : (1/275، 297، 310)، والبخاري: (7053) (7054) (7143)، ومسلم: (1849)، والدرامي: (2519)، والبغوي: (2458)، وابن أبي عاصم في " السنة ": (1101)، والطبراني في " المعجم الكبير ": (12759)، والبيهقي: (8/157)). وعن عوف بن مالك الأشجعي يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ("خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم " قلنا: أفلا ننابذهم يا رسول الله عند ذلك ؟. قال: " لا. ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يدا من طاعة). (رواه أحمد في مسنده : (6/24)، ومسلم: (1855)، والدرامي: (2797)، وابن أبي عاصم في " السنة ": (1017)، والبيهقي: (8/158)). وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يد الله مع الجماعة). (رواه الترمذي: (2166)). وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة، ويد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار). (رواه الترمذي: (2167)) وعن أبي ذر - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (اثنان خير من واحد، وثلاثة خير من اثنين، وأربعة خير من ثلاثة، فعليكم بالجماعة، فإن الله - عز وجل - لن يجمع أمتي إلا على هدى) (رواه أحمد في " المسند ": (5/145)) وعن رجل قال: انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: (أيها الناس عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، أيها الناس عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة) ثلاث مرار. (رواه أحمد في " المسند ": (5/371). ولا تضر جهالة الرجل لأنه صحابي، والصحابة كلهم عدول بالإجماع، رضي الله عنهم أجمعين). وعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشاه القاصية والناحية، فإياكم والشعاب، وعليكم بالجماعة، والعامة، والمسجد). (رواه أحمد في مسنده : (5/233، 243)). وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الصلاة إلى الصلاة التي قبلها كفارة، والجمعة إلى الجمعة التي قبلها كفارة، والشهر – (المقصود بالشهر هنا " شهر رمضان " كما في الرواية الأخرى) - إلى الشهر الذي قبله كفارة، إلا من ثلاث - قال: فعرفنا أنه أمر حدث -: إلا من الشرك بالله، ونكث الصفقة، وترك السنة. - قال: - أما نكث الصفقة: فأن تعطي رجلا بيعتك ثم تقاتله بسيفك، وأما ترك السنة: فالخروج من الجماعة). (رواه أحمد في مسنده : (2/229)، (2/506)) ولما في مفارقة الجماعة من مفاسد جمة، جعل الشارع الحكيم القتل عقوبة لمن فارق الجماعة : فعن عرفجة الأشجعي قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر يخطب الناس، فقال: (إنه سيكون بعدي

هنات وهنات، فمن رأيتموه فارق الجماعة، أو يريد يفرق أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم كائنا من كان فاقتلوه، فإن يد الله على الجماعة، فإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض).
(رواه مسلم: (1852)، وأبو داود: (4762) باب في قتل الخوارج.
ويؤخذ من تبويب أبي دواد على هذا الحديث: أن من فارق الجماعة فإنه خارجي. ورواه النسائي: (4032) واللفظ له).
وبوب النسائي عليه في كتاب " تحريم دم المسلم " من " سننه ": (باب قتل من فارق الجماعة).
فما بالك بمن فارق الجماعة، ولحق بأعداء الله المشركين في بلادهم، يدعي أنه ينصر دين الله بذلك وبما يبثه من منشورات، ينتقص فيها العلماء، ويهون فيها من قدر الولاة والأمراء، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من جامع المشرك وسكن مع فإنه مثله).
(رواه أبو داود في سننه من حديث سمرة بن جندب - رضي الله عنه -: (2787)).
وقال صلى الله عليه وسلم: ("أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين" قالوا: يا رسول الله، لم ؟. قال: "لا تراءى ناراهما").
(رواه أبو داود: (2645)، والترمذي: (1604)).
قال الفضل بن زياد: سمعت أحمد - رحمه الله تعالى - يسئل عن معنى: " لا تراءى نارهما " فقال: (لا تنزل من المشركين في موضع إذا أوقدت رأوا فيه نارك، وإذا أوقدوا رأيت فيه نارهم، ولكن تباعد عنهم).
وقال جرير بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه -: (بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم، وعلى فراق المشركين).
(رواه الإمام أحمد في مسنده : (4/365)، والنسائي: (7/148)، والبيهقي: (9/13)).
قال الشيخ العلامة: حمود بن عبد الله التويجري - رحمه الله - في كتابه " تحفة الإخوان " ص 27: (وقد ورد النهي عن مجامعة المشركين، ومساكنتهم في ديارهم، والتغليظ في ذلك، لأن مجامعتهم ومساكنتهم من أعظم الأسباب الجالبة لموالاتهم وموادتهم. والأحاديث في ذلك كثيرة).
ثم ساق الشيخ عدة أحاديث، ثم قال :
(فليتأمل المسلمون الساكنون مع أعداء الله - تعالى - هذه الأحاديث، وليعطوها حقها من العمل، فقد قال تعالى -: {فَبَشِّرْ عِبَادِ {17} الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ}) اهـ. (سورة الزمر)].

قال صلى الله عليه وسلم: ("إن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة". قالوا ومن هي يا رسول الله ؟. قال: " ما أنا عليه اليوم وأصحابي ")

[أخرجه الترمذي: (2641)، واللالكائي في " شرح اعتقاد أهل السنة ": (147)، والآجري في " الشريعة " ص 15، والمروزي في السنة ص 18، وابن بطة في " الإبانة الكبرى ": (264، 165) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما -.
وفيه عبد الرحمن بن زياد الأفريقي: ضعيف. لكن الحديث يصح بشواهده، ومنها :
1 - حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - :
رواه الإمام أحمد في مسنده : (2/332)، وأبو داود: (4596)، والترمذي: (2640)، وابن ماجه: (3991)، والآجري في " الشريعة " ص 25، وابن بطة في " الإبانة الكبرى ": (252)، وابن أبي عاصم في " السنة ": (66)، والحاكم في " مستدركه ": (1/128) وقال: " هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه " ووافقه الذهبي. وصححه ابن حبان: (2614)، ورواه - أيضا - أبو يعلى الموصلي في مسنده : (541 - 542)، والمروزي في السنة ص 17.
2 - حديث معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - :
رواه أحمد: (4/201)، وأبو داود: (4597)، وأبو داود الطيالسي: (2754)، والدرامي: (2521)، واللالكائي في " شرح أصول اعتقاد أهل السنة ": (150)، وابن أبي عاصم: (1) (65)، والآجري في " الشريعة " ص 18، والمروزي في السنة ص 14 - 15، وابن بطة في " الإبانة الكبرى ": (266)، والطبراني في " الكبير ": (19/884 - 885).
3 - حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - :
أخرجه أحمد: (3/120، 145)، والآجري في " الشريعة " ص 16، واللالكائي في " شرح أصول اعتقاد أهل السنة ": (148)، وابن بطة في " الإبانة الكبرى ": (269 - 270 - 271)، وابن أبي عاصم في " السنة ": (74).
4 - حديث عوف بن مالك - رضي الله عنه - :
رواه ابن ماجه: (3992)، والبزار: (172)، واللالكائي: (149)، وابن أبي عاصم في " السنة ": (63)، وابن بطة في " الإبانة الكبرى ": (272) " , والحاكم في " مستدركه ": (4/430).
5 - حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - :
أخرجه ابن جرير في تفسيره : (27/239)، والطبراني في " الكبير ": (10375) (10531)، وابن أبي عاصم: (70 - 71)، والمروزي في السنة ص 16.
6 - حديث أبي أمامة - رضي الله عنه - :
أخرجه اللالكائي في " شرح اعتقاد أهل السنة ": (151 - 152)، والمروزي في السنة ص 16 وص 17، وابن أبي عاصم: (86)، والطبراني في " الكبير ": (8035 - 8051)، والبيهقي: (8/88).
7 - حديث علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - :

رواه المروزي في السنة ص 19، وابن وضاح ص 85، وابن بطة في " الإبانة الكبرى ": (274 - 275).
8 - حديث سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - :
رواه ابن بطة في " الإبانة الكبرى ": (263) (266) (267)، والمروزي في السنة ص 17، والآجري في " الشريعة " ص 17.
وفيه: موسى بن عبيدة الربذي: ضعيف.]

فأخبر صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أنه لا بد أن يحصل تفرق في هذه الأمة، وهو لا ينطق عن الهوى، لا بد أن يحصل ما أخبر به صلى الله عليه وسلم.

وهذا الإخبار منه صلى الله عليه وسلم معناه النهي عن التفرق، والتحذير من التفرق، ولهذا قال: (كلها في النار إلا واحدة).

ولما سئل عنها صلى الله عليه وسلم: ما هذه الواحدة الناجية ؟. قال: (من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي).

فمن بقي على ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فهو من الناجين من النار، ومن اختلف عن ذلك فإنه متوعد بالنار، على حسب بعده عن الحق، إن كانت فرقته فرقة كفر وردة فإنه يكون من أهل النار الخالدين فيها، وإن كانت فرقته لم تخرجه عن الإيمان. لكن عليه وعيد شديد، ولا ينجو من هذا الوعيد إلا طائفة واحدة من ثلاث وسبعين، وهي " الفرقة الناجية " " من كان على مثل ما عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه "، هو: كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والمنهج السليم والمحجة البيضاء.

هذا هو ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال - تعالى - :

{وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ} [سورة التوبة، الآية: 100].

قال: {وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ}.

فدل هذا على أنه مطلوب من آخر هذه الأمة أن يتبعوا منهج السابقين الأولين، من المهاجرين والأنصار، الذي هو منهج الرسول صلى الله عليه وسلم، وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

أما من خالف منهج السابقين الأولين، من المهاجرين والأنصار، فإنه يكون من الضالين، قال - سبحانه - :

{وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً. ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ عَلِيماً}.

فمن أطاع الله وأطاع الرسول في أي زمان ومكان، سواء كان في وقت الرسول صلى الله عليه وسلم، أو آخر مسلم في الدنيا، إذا كان على طاعة الله ورسوله، فإنه يكون مع الفرقة الناجية..

{فَأُوْلَـئِكَ مَـعَ الَّـذِينَ أَنْعَـمَ اللّـهُ عَلَيْهِـم مِّـنَ النَّبِيِّيـنَ وَالصِّـدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً}.
أما من تخلف عن هذا المنهج فإنه لن يحصل على هذا الوعـد، ولـن يكون مع هؤلاء الرفقة الطيبين، وإنما يكون مع الـذين انحـاز إليهـم من المخالفين.
ولهذا، هذا الدعاء العظيم، الذي نكرره في صـلاتنا، فـي كـل ركعـة في آخر الفاتحة:
{اهـدِنَا الصِّـرَاطَ المُسـتَقِيمَ. صِـرَاطَ الَّـذِينَ أَنعَمـتَ عَلَيهِـمْ غَيـرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ} [الفاتحة].
هذا دعاء عظيم، نسأل اللـه فـي كـل ركعـة مـن صـلاتنا، أن يهـدينا لصراط الذين أنعم الله عليهم، وهو الذي جاءت به الرسل - عليهم الصلاة والسلام -، وكان عليه أتبـاعهم إلـى يـوم القيامـة، وآخرهـم محمد صلى الله عليه وسـلم هـو المتبـع، والمطـاع، والمقتـدى بـه صلى الله عليه وسلم؛ لأنه نبي آخر الزمان، ومنذ بعثه الله إلـى أن تقـوم السـاعة والنـاس كلهـم مـأمورون باتبـاعه صـلى اللـه عليـه وسلم، حتى لو قدر أنه جاء نبي من السابقين فإنه يجـب أن يكـون متبعا لهذا الرسول صلى اللـه عليـه وسـلم، قـال صـلى اللـه عليـه وسلم: (لو كان موسى حيا بين أظهركم، ما حل له إلا أن يتبعنـي).
[رواه أحمد: (3/338 و 387)، والدارمي: (1/115)، والبزار: (124) من حديث جابر بن عبد الله.
ومدار إسناده على مجالد بن سعيد، وهو ضعيف.
قال شعيب في " السير ": (13/324): (لكن الحديث يتقوى بشواهده، منها: حديث عبد الله بن ثابت: عند أحمد: (3/470 - 471). وفي سنده جابر الجعفي، وهو ضعيف.
وحديث عمر: عند أبي يعلى. وفيه: عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي.
وحديث عقبة بن عامر: عند الروياني في مسنده : (9، 50، 2). وفيه: ابن لهيعة.
وحديث أبي الدرداء: عند الطبراني في " الكبير ") اهـ.
انظر: " مجمع الزوائد ": (1/173 - 174).
قال الشيخ حافظ الحكمي في " الجوهرة الفريدة " :
وكان بعثته للخلق قاطبة ** وشرعه شامل لم يعده أحد
ولم يسع أحدا عنها الخروج ولو ** كان النبيون أحياء لها قصدوا]
وذلك في قوله - تعالى - :
{وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ} يعني: محمدًا صلى الله عليه وسـلم {مُّصَـدِّقٌ لِّمَـا مَعَكُـمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُـمْ إِصْـرِي قَـالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ {81} فَمَـنْ تَـوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُـمُ الْفَاسِـقُونَ {82} أَفَغَيْـرَ دِيـنِ اللّـهِ يَبْغُـونَ} [سورة آل عمران].
فلا دين بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم إلا ديـن محمـد صـلى الله عليه وسلم، ومن ابتغى غيره من الأديان فـإنه لـن يقبـل منـه، ويكون يوم القيامة من الخاسرين :
{وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْـهُ وَهُـوَ فِـي الآخِـرَةِ مِـنَ الْخَاسِرِينَ} [سورة آل عمران]

{غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ}: وهم كل من عنده علم ولم يعمل به، من اليهود وغيرهم من ضلال العلماء، الذين عرفوا الحق وتركوه؛ تبعًا لأهوائهم، وأغراضهم، ومنافعهم الشخصية، يعرفون الحق الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولكنهم لا يتبعونه، بل يتبعون أهواءهم، ورغباتهم، وما تمليه عليهم عواطفهم، أو انتماءاتهم المذهبية أو غير ذلك، هؤلاء يُعتبرون من {المَغضُوبِ عَلَيهِمْ}، لأنهم عصوا الله على بصيرة، فغَضب الله عليهم.

{وَلاَ الضَّالِّينَ}: وهم الذين يعملون بغير علم، ويجتهدون في العبادة، لكنهم على غير طريق الرسول صلى الله عليه وسلم، كالمبتدعة والمخرّفين، الذين يجتهدون في العبادة، والزهد، والصلاة، والصيام، وإحداث عبادات ما أنزل الله بها من سلطان، ويتبعون أنفسَهم بأشياء لم يأتِ بها الرسولُ صلى الله عليه وسلم. هؤلاء ضالون، عملُهم مرود عليهم، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (من عمل عملاً ليسَ عليه أمرنا فهو رَدٌّ) [رواه الإمام أحمد في مسنده : (6/180 و 146 و 256)، ورواه البخاري بهذا اللفظ معلقًا: (13/391) في كتاب " الاعتصام ".

ومسلم في صحيحه : (1718)، (18)، والبخاري موصولاً في " خلق أفعال العباد " ص 43، وأبو عوانة: (4/18 - 19)، وأبو داود الطيالسي في مسنده : (1422) من حديث عائشة - رضي الله عنها -.

ورواه بلفظ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فو رَدٌّ) :

الإمام أحمد: (6/240 و 270)، والبخاري في صحيحه موصولاً: (2697)، ومسلم: (1718) (17)، وأبو داود: (4606)، وابن ماجه: (12)، وأبو عوانة: (4/18)، والبغوي في شرح السنة : (103)، وابن أبي عاصم في " السنة ": (52 - 53)، والبيهقي: (10/119)، والدارقطني: (4/224، 225، 227)، وابن بطة في " الإبانة الكبرى ": (148) بلفظ: (من فعل في أمرنا ما لا يجوز فهو مردود)، وأحمد في مسنده : (6/173) بلفظ: (من صنع أمرًا من غير أمرنا فهو مردود).]

هؤلاء هم (الضالون) ومنهم النصارى، وكل من عبد الله على جهل وضلال، وإن كانت نيته حسنة ومقصده طيبًا، لأنَّ العبرةَ ليستْ بالمقاصد فقط، بل العبرةُ بالاتباع.

ولهذا يُشْتَرَطُ في كلِّ عملٍ، أن يتوفَّرَ فيه شرطان، ليكونَ مقبولاً عند الله، ومثابًا عليه صاحبُه :

الشرط الأول: الإخلاص لله - عز وجل -

الشرط الثاني: المتابعةُ للرسول صلى الله عليه وسلم قال - تعالى - :

{بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}. [سورة البقرة]

وإسلام الوجهِ يعني: الإخلاصَ للهِ.

والإحسانُ هو المتابعةُ للرسولِ صلى الله عليه وسلم.

فالله - جل وعلا - أمرَ بالاجتماعِ على الكتابِ والسنّةِ، ونهانا عن التفرقِ والاختلاف.

والنبيُّ صلى الله عليه وسلم كذلك أمرنا بالاجتماع على الكتاب والسنّةِ، ونهانا عن التفرق والاختلاف. لما في الاجتماع على

الكتاب والسّنة من الخيـر العاجـل والآجـل، ولمـا فـي التفـرقِ مـن المضارِ العاجلةِ والآجلة في الدنيا والآخرة.
فالأمرُ يحتاجُ إلـى اهتمـامٍ شـديدٍ، لأنـه كلمـا تـأخّر الزمـانُ كَثُـرتِ الفِرَقُ، وكثرتِ الدعايات، كثرتِ النِّحَلُ والمـذاهبُ الباطلـةُ، كـثرتِ الجماعاتُ المتفرقةُ. لكـن الـواجب علـى المسـلم أن يَنْظُـرَ، فمـا وافق كتابَ الله وسنّةَ رسولهِ صلى الله عليه وسلم أخذَ بـه، ممـن جاءَ به، كائنًا من كان؛ لأن الحقَّ ضالةُ المؤمن.
أما ما خالف ما كان عليه الرسولُ صلى الله عليه وسلم تركَه، ولـو كان مع جماعتِهِ، أو مع من ينتمي إليهم، مادام أنهُ مخـالفُ للكتـاب والسنّة؛ لأن الإنسان يريدُ النجاةَ لا يريدُ الهلاكَ لنفسه.
والمجاملةُ لا تنفعُ في هذا، المسألةُ مسألةُ جنّةٍ أو نار، والإنسـانُ لا تأخذُه المجاملةُ، أو يأخذه التعصبُ، أو يأخذُه الهـوى فـي أن ينحـازَ مع غير أهل السنّةِ والجماعةِ، لأنه بذلك يضرُّ نفسّهُ، ويُخـرِجُ نفسَـه من طريق النجاةِ إلى طريقِ الهلاكِ.
وأهلُ السنّةِ والجماعةِ، لا يضُّرهم من خالفهم سواءً كنتَ معهـم، أو خالفتَهم. إن كنتَ معهم، أو خالفتهم. إن كنتَ معهـم فالحمـدُ للـه، وهم يفرحون بهذا، لأنهم يريدون الخيرَ للناس، وإن خالفتَهم فـأنتَ لا تضرُّهم، ولهذا قال صلى الله عليه وسـلم: (لا تـزالُ طائفـةٌ مـن أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم مـن خـذلهم، حـتى يـأتيَ أمـرُ الله وهم كذلك).
أخرجه بهذا اللفظ: مسلم: (1920)، وأبو داود: (4252)، وفيه: " لا يضرهم من خالفهم "، وزيادةٌ طويلةٌ في أوَّلِه. وأخرجـه - أيضًـا - الترمذي: (2229) مختصـرًا وصـحَّحه، وأخرجـه ابـن ماجـة فـي " المقدمة ": (10) وفي: (3952) مطوَّلاً، وأخرجه أحمد: (5/278) مطولاً، وفي: (5/279) مختصرًا.
وأبو عوانة: (5/109) مختصـرًا، وأبـو نعيـم: (192)، والـبيهقي: (9/181)، والحاكم: (4/449) مطولاً.
وأخرجه من حديث المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - :
البخاري: (3640) (959)، ومسلم: (1921)، وأحمد: (4/244، 252)، والدارمي: (3437)، وأبو عوانة: (5/109)، واللالكائي: (167)، وأبو نعيم: (437)، والطـبراني فـي " الكـبير ": (659) (960) (962).
وأخرجه من حديث معاوية - رضي الله عنه - :
البخاري: (3641)، ومسلم: (3/1524)، وأحمد: (4/101)، وأبو عوانة: (5/106 - 107)، واللالكائي: (166)، وأبو نعيم: (311)، والبغوي في تفسيره : (2/218) مختصرًا.
وأخرجه من حديث جابر بن سمرة - رضي الله عنه - :

الإمام أحمد: (5/103)، ومسلم: (1922)، وأبو عوانة: (5/105)، والطبراني في " الكبير ": (1819)، والحاكم: (4/449).
وأخرجه من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - :
مسلم: (1923)، وأبو عوانة: (5/105)، وأحمد: (3/345، 384) وأبو يعلى في مسنده : (313)، والبيهقي: (8/180).
ومن حديث سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - :
أخرجه مسلم: (1925)، وأبو عوانة: (5/109)، واللالكائي: (170)، وأبو نعيم: (214).
ورُوِيَ الحديثُ عن عدد من الصحابة غير هؤلاء، منهم: عمر بن الخطاب، وسلمة الكندي، وعمران بن حصين، والنواس بن سمعان، وأبو أمامة، وقرة المزني، وأبو هريرة - رضي الله عنهم -.]
فالمخالفُ لا يضرُّ إلا نفسَه.
وليست العبرةُ بالكثرةِ، بل العبرةُ بالموافقةِ للحق [هذا هو الحق الذي ندينُ الله به، بخلاف ما اعتمدتهُ بعضُ الجماعات في الدعوةِ إلى الله؛ بأن الهدف هو التجميعُ والتكتيلُ فقط، ولو اختلفتِ العقائدُ، فيجعلون في جماعتِهم الأشعريَّ، والجهميَّ، والمعتزليَّ، والرافضيَّ، وربما النصرانيَّ واليهوديَّ، ويقولون: (نجتمع على ما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه !).]
، ولو لم يكنْ عليه إلا قِلَّةٌ من الناس، حتى ولو لم يكن في بعض الأزمان إلا واحدٌ من الناس؛ فهو على الحق، وهو الجماعة.
فلا يلزمُ من الجماعةِ الكثرةُ، بل الجماعةُ من وافقَ الحقَّ، ووافقَ الكتاب والسنّة، ولو كان الذي عليه قليلٌ.
أما إذا اجتمعَ كثرةٌ وحقٌ، فالحمد لله هذا قوة.
أما إذا خالفته الكثرة، فنحن ننحازُ مع الحقِّ، ولو لم يكنْ معه إلا القليلُ.
وكما أخبرَ به صلى الله عليه وسلم من حصول التفرق والاختلاف قد وقَعَ، ويتطور كلما تأخَّرَ الزمان، يتطوَّرُ التفرقُ والاختلاف إلى أن تقوم الساعةُ، حكمةٌ من الله - سبحانه وتعالى -، ليبتلي عبادَهُ، فيتميزُ من كان يطلبُ الحقَّ، ممن يؤثرُ الهوى والعصبية :
{أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [سورة العنكبوت].
وقال - سبحانه وتعالى - :
{وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}. [سورة هود]

فحصـول هـذا التفـرق، وهـذا الاختلاف؛ ابتلاءٌ مـن اللـه - سـبحانه وتعالى -، وإلا فهو قادر - سبحانه - أن يجمعَهم على الحق :
{وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى} [سورة الأنعام، الآية: 35}.
هو قادر على هذا، لكنَّ حكمتَهُ اقتضَـتْ أنْ يبتليَهـم بوجـودِ التفـرق والاختلاف، مـن أجـل أنْ يتميـزَ طـالبُ الحـقِّ مـن طـالبِ الهـوى والتعصب.
ومازالَ علماءُ الأمة في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ينهون عن هـذا الاختلاف، ويوصون بالتمسك بكتابِ الله وسنّةِ رسولهِ صلى الله عليـه وسـلم في كتبهم التي بقيتْ بعدَهم.
تجـدون فـي كتـاب " صـحيح البخـاري " مثلاً: " كتـاب الاعتصـام بالكتاب والسنّة ".
تجدون في كتب العقائد ذكرَ الفرقِ الهالكة، وذكرَ الفِرقة الناجية.
وأقربُ شيئٍ لكم شرحُ الطحاوية، وهي بين أيديكم الآن.
والغرضُ من هذا بيانُ الحقِّ منن الباطل؛ إذ وقعَ ما أخـبرَ بـه صـلى الله عليه وسلم من التفرق والاختلاف.
فالواجبُ أن نعملَ بما أوصانا به الرسولُ صلى الله عليه وسلم في قـوله: " فعليكـم بسـنتي وسـنّة الخلفـاء الراشـدين مـن بعـدي ".
[سَبَقَ تخريجه ص: 7، وهو جزءٌ من حديث العرباض بـن سـارية - رضي الله عنه -.]
لا نجاةَ من هذا الخطر إلا بالتمسكِ بكتاب الله وسنّة رسـوله صـلى الله عليه وسلم، ولا تحسـبَنَّ هـذا الأمـرَ يَحْصُـلُ بسـهولةٍ، لا بـد أن يكونَ فيه مشقةً.
لكن يحتاج إلى صبرٍ وثباتٍ، وإلا فـإن المتمسـك بـالحقِّ - خصوصًـا في آخر الزمان - سيعاني من المشاق، ويكونُ القـابضُ علـى دينِـه كالقابضِ على الجمرِ، كما صَحَّ عـن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم [أخرجه الترمذي: (2260)، وابن بطة فـي " الإبانـة الكـبرى ": (195) عن أنس - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول اللـه صـلى الله عليه وسلم: " يأتي على الناس زمانٌ، الصابرُ فيهم علـى دينـه كالقابِضِ على الجمر " وفيه: عمر بـن شـاكر: ضـعيف، كمـا فـي " التقريب ".
والحديث حّسَّنَهُ السيوطي كما في " الجـامع الصـغير ": (9988)، وأورده الألباني في " الصحيحة " برقم: (957) وصَحَّحَه.
وللحديث شواهد:
الأول: أخرجه أحمد في مسنده (2/390 ـ 391) عن أبي هريـرة مرفوعًا، ولفظه: " ويلٌ للعـربِ مـن شـرٍّ قـد اقـترب؛ فِتَنًـا كقِطَـعِ الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، يـبيع قـومٌ دينَهـم بعَرَضٍ من الدنيا قليل، المتمسك يومئذٍ علـى دينـه كالقـابضِ علـى

الجمر - أو قال: على الشوك - " وفيه: ابن لهيعة، قال الألباني بعده - كما في الصحيحة: (2/682) -: (قلتُ: وإسناده لا بأسَ به في الشواهد، رجاله ثقات، غيرَ ابن لهيعة؛ فإنه سيء الحفظ).
الثاني: أخرجه الترمذي: (3058)، وأبو داود: (4341)، وابن ماجه: (4063)، والبغوي في شرح السنة : (14/344)، وفي تفسيره : (3/110) بلفظٍ مطوَّل في آخره: ".. فإن من ورائكم أيامًا، الصبرُ فيهنَّ مثلُ القبض على الجمر، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملَكم ".
ومدار إسناده على:
1 - عتبة بن أبي حكيم: صدوق يخطئ.
2 - عمرو بن جارية: مقبول.
3 - أبي أُميَّةَ الشَّعْباني الدمشقي: مقبول.
الثالث: عن ابن مسعود - رضي الله عنه - مرفوعًا بلفظ: " يأتي على الناس زمانٌ، المتمسكُ فيه بسنتي عند اختلافِ أمتي كالقابضِ على الجمر ".
قال الألباني بعده - (2/683) " الصحيحة " -: (أخرجه أبو بكر الكلاباذي في " مفتاح المعاني " ق 118/2، والضياء المقدسي في " المنتقى.. ": 99/1... وقد عزاه السيوطي للحكيم الترمذي عن ابن مسعود، وبيض له المناوي !.
وجملة القول: أنَّ الحديثَ بهذه الشواهد - أي: حديثَ أنس السابق - صحيحٌ ثابتٌ، لأنَّه ليسَ في شيء من طرقها متهم، لا سيما وقد حسَّنَ بعضها الترمذي وغيرُه. والله أعلم) اهـ.
قال المباركفوري في شرحه لحديث أنس السابق، في " تحفة الأحوذي ": (6/445): (قال الطيبي: " المعنى: كما لا يقدر القابض على الجمر أن يصبرَ لإحراق يدِه، كذلك المتدينُ يومئذٍ لا يقدرُ على ثباتِه على دينِه؛ لغلَبةِ العصاَةِ والمعاصي، وانتشار الفسقِ، وضعفِ الإيمان " انتهى.
قال القَاري: " الظاهرُ أن معنى الحديثِ: كَما لا يمكنُ القَبضُ على الجمرةِ إلا بصبرٍ شديدٍ وتحمل غلبةِ المشقةِ، كذلك في ذلك الزمان، لا يتصوَّرُ حفظُ دينِهِ ونورِ إيمانِه إلا بصبرٍ عظيم " انتهى) اهـ من التحفة.]، والمتمسكون بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، والسائرون على منهج السلف؛ يكونون غرباء في آخر الزمان، كما أخبر بذلك صلى الله عليه وسلم بقوله: " فطوبى للغرباء الذين يُصْلِحُونَ ما أفسدَ الناسُ من بعدي من سنتي ".
[أخرجه الترمذي: (2630) بهذا اللفظ وقال: " حسن صحيح "، وأخرجه أبو نعيم في " الحلية ": (98)، والبغوي معلقًا في شرح

السنة : (1/120 ـ 121) من حديث عمرو بن عوف - رضي اللـه عنه -.
وفي سنده كثير بن عبد الله المزني: متروك.
والحديث صحيح من وجوهٍ أخرى؛ فأخرجه مسـلم فـي صـحيحه : (145) مـن حـديث أبـي هريـرة - رضـي اللـه عنـه - بلفـظ: " بـدأ الإسلام غريبًا وسيعودُ - كما بدأ - غريبًا، فطوبى للغرباء ".
ورواه أحمد: (2/389)، وابن ماجه: (3986)، واللالكائي: (174)، والآجري في كتاب " الغرباء ": (4)، وابن منده في " الإيمـان ": (422 - 423).
ومن حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - :
رواه مسلم: (146)، وابن منده في " الإيمان ": (421).
ومن حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - :
رواه أحمد: (1/398)، والترمذي: (2629)، وابن ماجه: (3988)، والدارمي: (2758)، والآجري في كتاب " الغرباء ": (2)، والبغوي في شرح السنة : (64).
وأخرجه أحمد (1/184) من حديث سـعد بـن أبـي وقـاص - رضـي الله عنه -.
وأخرجه ابن ماجه: (3987)، والآجري في كتـاب " الغربـاء ": (5) من حديث أنس - رضي الله عنه -.]
وفي رواية: " الذين يَصْلُحُونَ إذا فسدَ النـاسُ ". [أخـرج الحـديثَ بهذا اللفظ:
الطبراني في " الكبير ": (7659)، والآجري في كتاب " الغرباء ": (5) من حديث أبي الدرداء، وأبي أمامة، وواثلة بن الأسـقع، وأنـس بـن مالـك - رضـي اللـه عنهـم -. وفـي إسـناده كـثير بـن مـروان الشامي: متروك.
وأخرجه اللالكائي: (173)، والطبراني فـي " الأوسـط " كمـا فـي المجمع: (7/278) من حديث جابر - رضي اللـه عنـه -، وفيـه: أبـو عياش النعمان المعافري: مجهول.
ومن حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - :
أخرجه أبو يعلى في مسنده . ذكره في " المطالب العاليـة " لابـن حجر: (483).
ومن حديث عبد الرحمن بن سنة:
أخرجه عبد الله بن الإمام أحمـد فـي " الزوائـد ": (4/73 ـ 74)، وابن عدي في " الكامل ": (4/1615).
ومن حديث سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه - :
أخرجه الطبراني في " الكبير ": (6/202)، وفيـه: بكـر بـن سـليم الصواف: ضعيف.]

فهذا يحتاجُ إلى العلم أولاً؛ بكتابِ الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم، والعلم بمنهج السلف الصالح وما كانوا عليه.
ويحتاجُ التسمكُ بهذا إلى صبرٍ على ما يلحقُ الإنسانَ من الأذى في ذلك، ولذلك يقولُ - سبحانه وتعالى - :
{وَالْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}. [سورة العصر]
{وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} هذا يدلُ على أنَّهم سيلاقون مشقةً في إيمانهم وعملهم، وتواصيهم بالحق، سيلاقون عنتًا من الناس، ولومًا من الناس وتوبيخًا، وقد يلاقون تهديدًا، أو قد يلاقون قتلاً وضربًا، ولكن يصبرون، ماداموا على الحق، يصبرون على الحق ويثبتون عليه، وإذا تبين لهم أنَّهم على شيءٍ من الخطأ يرجعون إلى الصواب، لأنه هدفُهم.
لقد حدثَ التفرقُ في وقتٍ مبكرٍ، ونحنُ في هذهِ المحاضرةِ سنتكلمُ عن أربعِ فرقٍ، هي أصول الفرقِ تقريبًا.
$الفرقة الأولى : **القدرية**
فأولُ ما حدثُ، فرقةُ " القدرية " في آخر عهد الصحابة.
" القدريةُ ": الذين ينكرونَ القدرَ، ويقولون: إنَّ ما يجري في هذا الكون ليس بقدر وقضاءٍ من الله - سبحانه وتعالى -، وإنما هو أمرٌ يحدثُ بفعل العبد، وبدون سابقِ تقدير من الله - عز وجل -، فأنكروا الركن السادسَ من أركانِ الإيمان، لأنَّ أركانَ الإيمان ستةٌ: الإيمانُ بالله، وملائكتِهِ، وكتبِه، ورسلِه، واليومِ الآخرِ، والإيمانِ بالقدرِ خيره وشره، كُلِّه من الله - سبحانه وتعالى -.
وسُمُّوا " بالقدرية "، وسُمُّوا " بمجوس " هذه الأمة، لماذا ؟.
لأنهم يزعمون أنَّ كُلَّ واحدٍ يَخْلُقُ فعلَ نفسِه، ولم يكنْ ذلك بتقدير من الله، لذلك أثبتوا خالقين مع الله كالمجوس الذين يقولون: (إنَّ الكونَ له خالقانِ: " النور والظلمة "، النورُ خلقَ الخيرَ، والظلمةُ خلقَتِ الشرَّ).
" القدريةُ " زادوا على المجوسِ، لأنهم أثبتوا خالقَين متعدَّدِين، حيث قالوا: (كُلٌ يخلُقُ فعلَ نفسِه)، فلذلك سُمُّوا " بمجوسِ هذه الأمة ".
وقابَلَتْهم " فرقةُ الجبرية " الذين يقولون: " إنَّ العبدَ مجبورٌ على فعلِه، وليس له فعلٌ ولا اختيارٌ، وإنما هو كالريشةِ التي تحركُها الريحُ بغير اختيارها.
فهؤلاء يُسَمَّونَ " بالجبرية " وهم " غُلاةُ القدرية "، الذين غلوا في إثبات القدر، وسَلَبوا العبدَ الاختيارَ.

والطائفةُ الأولى منهم على العكس، أثبتوا اختيارَ الإنسان وغَلَو فيه، حتى قالوا: إنه يخلُقُ فِعْلَ نفسِهِ مستقلاً عن الله، تعالى الله عما يقولون.
وهؤلاء يُسمَّون " بالقدرية النفاةِ ". ومنهم: " المعتزلةُ ", ومن سارَ في ركابهم.
هذه فرقة القدرية بقسميها:
1 - الغلاةُ في النفي.
2 - والغلاةُ في الإثباتِ.
وتفرَّقتِ " القدريةُ " إلى فرقٍ كثيرةٍ، لا يعلمها إلا الله؛ لأنَّ الإنسانَ إذا تركَ الحق فإنه يهيمُ في الضلال، كُلُّ طائفةٍ تُحدثُ لها مذهبًا وتنشقُ به عن الطائفة التي قبلها، هذا شأنُ أهلِ الضلالِ؛ دائمًا في انشقاقٍ، ودائمًا في تفرقٍ، ودائمًا تحدثُ لهم أفكارٌ وتصوراتٌ مختلفةٌ متضاربة.
أما أهلُ السنّةِ والجماعةِ؛ فلا يَحدُثُ عندَهم اضطرابٌ ولا اختلافٌ، لأنهم متمسكون بالحق الذي جاء عن الله - سبحانه وتعالى -، فهم معتصمون بكتابِ الله وبسنةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم؛ فلا يَحْصُلُ عندَهم افتراقٌ ولا اختلافٌ، لأنهم يسيرونَ على منهجٍ واحدٍ.

$الفرقة الثانية : **الخوارج**
وهم الذين خرجوا على ولي الأمر في آخر عهدِ عثمان - رضي اللـه عنه -، ونتَجَ عن خروجهم قتلُ عثمان - رضي الله عنه -.
ثم في خلافةِ علي - رضي الله عنـه - زادَ شـرُهم، وانشـقوا عليـه، وكفّروه، وكفّروا الصحابة؛ لأنهم لم يوافقوهم على مـذهبهم، وهـم يحكُمون على من خـالفَهم فـي م ذهبهم أنـه كـافرٌ، فكفّـروا خيـرةَ الخلقِ وهم صحابةُ رسـولِ اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم. لم اذا ؟. لأنَّهم لم يوافقوهم على ضَلالِهم وعلى كفرهم.
ومـذهبُهم: أنَّهـم لا يلـتزمون بالسـنّة والجماعـة، ولا يطيعـون ولـيَّ الأمر، ويرون أن الخروجَ عليه من الدين، وأن شَقَّ العصا من الدين [وفي عصرنا ربما سمّوا من يرى السـمعَ والطاعـةَ لأوليـاء الأمـور في غير ما معصية عميلاً، أو مداهنًا، أو مغفلاً. فتراهم يقدحون فـي وَليَّ أمرهم، ويشّهرون بعيوبه من فـوق المنـابر، وفـي تجمعـاتهم، والرسولُ صلى الله عليه وسلم يقولُ: (من أرادَ أن ينصحَ لسلطان بأمر؛ فلا يبدِ له علانيةً ولكن ليأخذْ بيدِه، فيخلوا بـه، فـإن قَبِـلَ منـه فـذَّاكَ، وإلا كـان قـد أدَّى الـذي عليـه) رواه أحمـد: (3/404) مـن حديث عياض بن غنم - رضي الله عنـه -، ورواه - أيضًـا - ابـن أبـي عاصم في " السنة ": (2/522).
أو إذا رأى وليُّ الأمرِ إيقافَ أحدِهم عن الكلام في المجامع العامـة؛ تجمعوا وساروا فـي مظـاهرات، يظنـونَ - جهلاً منهـم - أنَّ إيق افَ أحدِهم أو سجنَهُ يسوغُ الخروج، أوَلَمْ يسمعوا قولَ النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عوف بن مالك الأشجعي - رضي الله عنه -، عند مسلم (1855): (لا. ما أقاموا فيكم الصلاة).
وفي حديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - في " الصـحيحين ": (إلا أن تروا كفرًا بواحًا، عندكم فيه من الله برهـان) وذلـك عنـد سؤال الصحابة واستئذانهم له بقتال الأئمة الظالمين.
ألا يعلمُ هؤلاء كم لبثَ الإمامُ أحمدُ فـي السـجنِ، وأيـنَ مـاتَ شـيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية ؟!.
ألم يسـجن الإمـام أحمـد بضـع سـنين، ويجلـد علـى القـول بخلـق القرآن، فلما لم يأمر الناس بالخروج على الخليفة ؟!.
وألـم يعلمـوا أن شـيخ الإسـلام مكـث فـي السـجن مـا يربـو علـى سنتين، ومات فيه، لِمَ لَمْ يأمرِ الناسَ بـالخروجِ علـى الـوالي - مـع أنَّهم في الفضلِ والعلمِ غايةٌ، فيكف بمن دونهم - ؟؟!.
إنَّ هذه الأفكـارَ والأعمـالَ لـم تـأتِ إلينـا إلا بعـدما أصـبحَ الشـبابُ يأخذون علمَهم من المفكّـرِ المعاصـرِ فلان، ومـن الأديـب الشـاعرِ فلان، ومن الكـاتبِ الإسـلامي فلان، ويـتركونَ أهـل العلـمِ، وكتـبَ

أسلافِهم خلفَهم ظهريًا؛ فلا حـولَ ولا قـوّةَ إلا بـالله.]، وعكـس مـا أمر الله به في قوله:
{أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُـواْ الرَّسُـولَ وَأُوْلِـي الأَمْـرِ مِنكُـمْ}. [سـورة النساء، الآية: 59]
الله - جل وعلا - جعل طاعة ولي الأمـر مـن الـدين، والنـبي صـلى الله عليه وسلم جَعَلَ طاعةَ وليِّ الأمرِ مـن الـدين قـال صـلى اللـه عليه وسـلم: (أوصـيكم بتقـوى اللـه والسـمع والطاعـةِ، وإن تـأَمَّرَ عليكم عبدٌ، فإنه من يعشْ منكم فسيرى اختلافًـا كـثيرًا..). [سـبق تخريجه ص: 7.]
فطاعةُ وليِّ الأمرِ المسلمِ من الـدين. و " الخـوارجُ " يقولـون: لا، نحنُ أحرارٌ. هذه طريقة الثوراتِ اليوم.
فـ " الخوراجُ " الذين يريدونَ تفريقَ جماعةِ المسلمين، وشّقَّ عصا الطاعة، ومعصية الله ورسولهِ في هـذا الأمـر، ويـرون أن مرتكـبَ الكبيرةِ كافرٌ.
ومرتكبُ الكبيرة هو: الزانـي - مثلاً -، والسـارقُ، وشـاربُ الخمـر؛ يرون أنـه كـافرٌ، فـي حيـن أنَّ أهـلَ السـنّةِ والجماعـةِ يـرون أنـهُ " مسلمٌ ناقصُ الإيمانِ " [حتى لو فعل الكبيرة مستخفًا بهـا لا يكفـر ما لم يستحلها، خلافًا لما يقوله بعضُهم: من أنَّ مرتكبَ الكـبيرة إذا كان مستخفًا يكفر كفرًا مخرجًا عن الملَّة.
وهذا القولُ هو عينُ قولِ الخوارجِ، كما قال ذلك شيخنا الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عندما سـئل عنـه بالطـائف عـام 1415 هـ.]
، ويسمونه بالفاسق الملَّي؛ فهو " مؤمنٌ بإيمانهِ فاسقٌ بكـبيرته "، لأنه لا يخُرِجُ من الإسلام إلا الشركُ أو نـواقضُ الإسـلام المعروفـة، أما المعاصي الـتي دون الشـرك؛ فإنهـا لا تُخـرجُ مـن الإيمـانِ، وإن كانتْ كبائرَ، قال الله - تعالى - :
{إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِـرُ مَـا دُونَ ذَلِـكَ لِمَـن يَشَـاءُ}
[سورة النساء، الآيتان: 48، 116].
و " الخوارجُ " يقولون: مرتكـبُ الكـبيرة كـافرٌ، ولا يُغفـرُ لـه، وهـو مخلّدٌ في النار. وهذا خلافُ ما جاءَ في كتاب الله - سبحانه وتعـالى -.
والسببُ: أنهم ليسَ عندهم فقهٌ.
لاحظُوا أن السببَ الذي أوقَعَهُم في هـذا أنهـم ليـس عنـدَهم فقـه، لأنَّهم جماعةٌ اشتدوا في العبادةِ، والصلاةِ، والصيام، وتلاوةِ القرآنِ، وعندهم غَيرةٌ شديدةٌ، لكنهم لا يفقهون، وهذه هي الآفة.
فالاجتهادُ في الورعِ والعبادةِ؛ لا بدَّ أن يكـونَ مـع الفقـه فـي الـدين والعلم.

ولهذا وصفهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم لأصحابه، بأن الصحابةَ يحقرون صلاتهم إلى صلاتهم، وعبادتهم إلى عبادتهم، ثم قال صلى الله عليه وسلم: " يمرُقُون من الدين كما يمرق السهم من الرَّمَّيةِ " [جزءٌ من حديثٍ طويل، أخرجه أحمد: (3/73)، والبخاري: (7432)، ومسلم: (1064)، والنسائي: (2577) (4112)، وأبو داود: (7464)، والطيالسي: (2234) من حديث أبي سعيد - رضي الله عنه -.

ومن حديث علي ابن أبي طالب - رضي الله عنه - :

البخاري: (3611) (5057) (6930)، ومسلم: (1066)، وأبو داود: (4767)، والطيالسي: (168)، والنسائي: (4113)، وأحمد: (1/81) (1/113).

ومن حديث جابر - رضي الله عنه -، عند: أحمد، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه.

ومن حديث سهل بن حنيف - رضي الله عنه -، عند: الشيخين، والنسائي.

ومن حديث ابن مسعود - رضي الله عنه -، عند: أحمد، والترمذي، وابن ماجه.

ومن حديث أبي برزة الأسلمي - رضي الله عنه -، عند: أحمد، والطيالسي، والنسائي، والحاكم.

ومن حديث أبي سعيد وأنس - رضي الله عنهما -، عند: أحمد، وأبي داود، والحاكم في " مستدركه ".

ومن حديث أبي بكرة - رضي الله عنه -، عند: أحمد، والطبراني.

ومن حديث عامر بن وائلة - رضي الله عنه -، عند: الطبراني.]

مع عبادتهم، ومع صلاحهم، ومع تهجدهم وقيامهم بالليل، لكن لما كان اجتهادُهم ليس على أصلٍ صحيح، ولا على علمٍ صحيح، صار ضلالاً ووباءً وشرًا عليهم وعلى الأمةِ.

وما عُرِفَ عن " الخوارج " في يومٍ من الأيام أنهم قاتلوا الكفار، أبدًا، إنما يقاتلون المسلمين، كما قال صلى الله عليه وسلم: " يقتلون أهلَ الإسلامِ ويَدَعُون أهلَ الأوثانِ ". [جزءٌ من حديثٍ طويل، أخرجه أحمد: (3/73)ـ (3/68) ومختصرًا: (3/72)، والبخاري: (7432)ـ (4667) مختصرًا، ومسلم: (1064)، والنسائي: (2577) (4112)، وأبو داود: (7464)، والطيالسي: (2234).]

فما عرفنا في تاريخ " الخوارج "، في يومٍ من الأيام أنَّهم قاتلوا الكفار والمشركينَ، وإنما يقاتلون المسلمين دائمًا: قتلوا عثمان. وقتلوا علي بن أبي طالب. وقتلوا الزبير بن العوام. وقتلوا خيار الصحابة. وما زالوا يقتلون المسلمين.

وذلك بسبب جهلهم في دين اللـه - عـزَّ وجـلَّ -، مـع ورَعِهـم، ومـع عبادتهم، ومع اجتهادهم، لكن لما لم يكنْ هـذا مؤسَّسًـا علـى علـمٍ صحيح؛ صارَ وبالاً عليهم، ولهذا يقول العلامةُ ابنُ القيم في وصفهم :

(وَلَهُمْ نُصُوصٌ قَصَّروا في فَهْمِهَا ** فَأُتُوْا مِنَ التقْصِيرِ في العِرْفَانِ)

[نونية ابن القيم المسمّاة: " الكافية الشافية في الانتصار للفرقـة الناجية " ص: 97.]

فهـم اسـتدلوا بنصـوصٍ وهـم لا يفهمونهـا، اسـتدلوا بنصـوصٍ مـن القرآن ومن السنّة؛ فـي الوعيـدِ علـى المعاصـي، وهـم لا يفقهـون معناهـا، لـم يُرجعوهـا إلـى النصـوص الأخـرى، الـتي فيهـا الوعـدُ بالمغفرة، والتوبة لمن كانت معصيتُه دون الشـرك؛ فأخـذوا طرفًـا وتركوا طرفًا. هذا لجهلهم.

والغيرةُ على الدين والحماسُ لا يكفيان، لا بد أَنْ يكونَ هذا مؤسَّسًا على علمٍ، وعلى فقهٍ في دين الله - عز وجل -، يكونُ ذلـك صـادرًا عن علمٍ، وموضوعًا في محله.

والغيرةُ على الدين طيبـةٌ، والحمـاسُ للـدين طيِّـب، لكـن لا بـد أن يُرشَّدَ ذلك باتباع الكتابِ والسنة.

ولا أَغْيَرَ على الدين، ولاَ أنصحَ للمسلمين؛ من الصحابة - رضي الله عنهم -، ومع ذلك قاتلوا " الخوارج "؛ لخطرهم وشرِّهم.

قاتَلهم عليُّ بن أبي طالب - رضي الله عنه -، حتى قتَلهم شرَّ قِتْلَـةٍ في وقعةِ " النهروان "، وتحقق في ذلك ما أخبر به صلى الله عليـه وسلم: من أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم بَشَّرَ من يقتُلُهـم بـالخير والجنة. فكان علي بن أبي طـالب هـو الـذي قتلَهـم، فحصَـلَ علـى البشارةِ من الرسول صلى الله عليـه وسـلم. [روى البخـاري فـي صحيحه : (6930)، ومسلم في صـحيحه : (1066)، وأحمـد فـي مسنده : (1/113)، وابن أبي عاصم في " السنة ": (914)، وعبد الله ابن الإمام أحمد في " السنة ": (1487) :

عن علي - رضي الله عنه - قال: سـمعتُ رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم يقول: " يخرجُ في آخرِ الزمـانِ قـومٌ أحـداثُ الأسـنانِ، سـفهاءُ الأحلامِ، يقولـون مـن خيـرِ قـول البريـةِ، لا يجـاوزُ إيمـانُهم حناجرَهم، فأينما لقيتموهم فاقُتلوهُم؛ فإنَّ قَتْلَهم أجـرٌ لمـن قتَلَهـم يوم القيامة ".

قال أبو سعيد الخـدري - رضـي اللـه عنـه - بعـدما روى حـديثًا فـي الخوارج وعلاماتِهم، رواه أحمد في " المسند ": (3/33)، وابنه في " السنة ": (1512) - قال: (فحدثني عشـرون أو بضـعٌ وعشـرون من أصحابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أنَّ عليًّا وَلِيَ قتْلَهم).

وروى أحمد: (1/59)، ومسلم: (1066)، وعبد الله بن الإمام أحمد في " السنة ": (1471) عن علـي - رضـي اللـه عنـه - قـال: قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يخرجُ قومٌ فيهـم رجـلٌ مـودنُ اليدِ، أو مثدون اليدِ، أو مخـدج اليـدِ، ولـولا أن تبطـروا لأنبـأتكم بمـا وَعَدَ الله الذين يقاتلونهم على لسان نبيه ".
وروى مسلم: (1065)، وأبو داود: (4667)، وعبد الله بن الإمـام أحمد في " السنة ": (1511) عن أبي سعيد الخدري - رضـي اللـه عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (تَمرق مارقةٌ فـي فِرقَةٍ من المسلمين، يقتُلُهما أولى الطائفتين بالحق).
هذا، وقد جاء الأمرُ بقتلِهم وفضـلِه فـي أحـاديثَ كـثيرةٍ، ليـسَ هـذا مجالُ ذِكرِها.]
قَتَلَهُم ليدفعَ شرَّهم عن المسلمين.
وواجبٌ على المسلمين في كـلِّ عصـرٍ إذا تحققـوا مـن وجـودِ هـذا المذهبِ الخبيثِ؛ أن يعالجوه بالدعوة إلى الله أولاً، وتبصيرِ النــاس بذلك؛ فإن لم يمتثلوا قاتَلُوهم دفعًا لشرِّهم.
وعليُّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - أرسلَ إليهم ابنَ عمه: عبـدَ الله بنَ عباس، حَبْرَ الأمة، وترجمانَ القرآن؛ فناظرَهم، ورَجَعَ منهم ستَّةُ آلاف، وبقي منهم بقيةٌ كثيرةٌ لم يرجعوا، عندَ ذلك قاتَلَهم أميرُ المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالب ومعه الصحابة؛ لدفعِ شـرِّهم وأذاهـم عن المسلمين.
هذه " فرقةُ الخوراج " ومذهبُهم.

$الفرقة الثالثة : الشيعة
" الشيعة ": هم الذين يتشيّعون لأهلِ البيت.
و " التشيّع " في الأصل: الاتباعُ والمناصرةُ :
{وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ}. [سورة الصافات]
يعني: أتباعه إبراهيم، ومن أنصار ملتِه؛ لأنَّ الله - سبحانه - لما ذكر قصةَ نوحٍ قال: {وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ}.
فأصلُ " التشيّع ": الاتباعُ والمناصرةُ، ثم صار يُطلقُ على هذه الفِرقة، التي تزعم أنها متَّبعةٌ لأهل البيت - وهم: عليُّ بنُ أبي طالب - رضي الله عنه - وذريتُه -.
ويزعمون أن عليًّا هو الوصي بعد الرسول صلى الله عليه وسلم على الخلافِة، وأنَّ أبا بكر، وعمرَ، وعثمانَ، والصحابةَ؛ ظلموا عَليًّا، واغتصبوا الخلافةَ منه. هكذا يقولون.
وقد كذبوا في ذلك، لأن الصحابة أجمعوا على بيعة أبي بكرٍ ومنهم عليٌّ - رضي الله عنه -، حيثُ بايَعَ لأبي بكرٍ، وبايعَ لعمر، وبايعَ لعثمان.
فمعنى هذا: أنهم خونوا عليًّا - رضي الله عنه -.
وقد كَفَّروا الصحابةَ إلا عددًا قليلاً منهم، وصاروا يعلنونَ أبا بكرٍ وعمرَ، ويلقِّبونهما " بصنمي قريش ".
ومن مذهبهم: أنهم يُغلون في الأئمةِ من أهلِ البيت، ويُعطونَهم حقَّ التشريع ونسخَ الأحكام.
ويزعمون أن القرآن قد حُرِّفَ ونُقِّصَ، حتى آل بهم الأمرُ إلى أن اتخذوا الأئمةَ أربابًا من دون الله، وبنوا على قبورهم الأضرحةَ، وشَيَّدوا عليها القبابَ، وصاروا يطوفونَ بها، ويذبحون لها وينذرون.
وتفَّرقت " الشيعة " إلى فرقٍ كثيرة، بعضُها أخَفُّ من بعض، وبعضُها أشَدُّ من بعض، منهم: " الزيدية "، ومنهم: " الرافضة الإثنا عشرية "، ومنهم: " الإسماعيلية " و " الفاطمية "، ومنهم: " القرامطة "، ومنهم..، ومنهم..، عددٌ كبيرٌ، وفِرَقٌ كثيرة.
وهكذا.. كلُّ من تركَ الحقَّ فإنهم لا يزالون في اختلافٍ وتفَرُّقٍ، قال - تعالى - :
{فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}. [سورة البقرة]
فمن تركَ الحقَّ يُبتلى بالباطل، والزيغِ، والتفرُّقِ، ولا ينتهي إلى نتيجة، بل إلى الخسارة - والعياذُ بالله -.
وتفرَّقت " الشيعةُ " إلى فرقٍ كثيرةٍ، ونِحَلٍ كثيرة.
وتفرَّقت " القدرية ".

وتفرَّقت " الخوارج " إلى فرق كثيرة: " الأزارقـة "، و " الحروريـة "، و " النجـدات "، و " الصـفرية "، و " الإباضـية "، ومنهـم الغلاةُ، ومنهم من هو دون ذلك.

$الفرقة الرابعة : الجهمية
" الجهميةُ "، وما أرداك مالجهمية ؟!!.
" الجهميةُ ": نسبةً إلى " الجهم بن صفوان "، الـذي تتلمـذَ علـى " الجعد بن دِرهم "، و " الجعد بن درهم " تتلمذَ علـى " طـالوت "، و " طالوت " تتلمذ على " لبيد بـن الأعصـم " اليهـودي؛ فهـم تلاميـذ اليهود.
وما هو " مذهبُ الجهمية " ؟.
" مذهبُ الجهمية ": أنهم لا يُثبتون للـه اسـمًا ولا صـفةً، ويزعمـون أنــه ذاتٌ مجــرَّدةٌ عــن الأسـماءِ والصــفاتِ؛ لأن إثبــاتَ الأسـماءِ والصفاتِ - بزعمهم - يقتضي الشركَ، وتعدُّدَ الآلهة - كمـا يقولـون -.
هذه شبهتُهم اللعينة.
ولا ندري ماذا يقولون في أنفسـهم ؟. فالواحـدُ منهـم يوصـفُ بـأنه عالمٌ، وبأنه غنيٌّ، وبأنه صانعٌ، وبأنه تـاجرٌ. فالواحـدُ منهـم لـه عِـدَّةُ صفاتٍ، هل معنى ذلك أن يكونَ عِدَّةَ أشخاصٍ ؟؟!!.
هذه مكابرةٌ للعقولِ؛ فلا يلزمُ مـن تعـددِ الأسـماءِ والصـفاتِ تعـدُّدَ الآلهةِ، ولهذا لمَّا قالَ المشركون من قبلُ لَمَّا سـمعوا النـبي صـلى الله عليه وسلم يقول: (يا رحمن، يا رحيـم) قـالوا: هـذا يزعـم أنـه يعبدُ إلهًـا واحـدًا، وهـو يـدعو آلهـةً متعـددةً، فـأنزل اللـه - سـبحانه وتعالى - قوله :
{قُلِ ادْعُواْ اللّـهَ أَوِ ادْعُـواْ الرَّحْمَــنَ أَيّـاً مَّـا تَـدْعُواْ فَلَـهُ الأَسْـمَاء الْحُسْنَى} [تفسير ابن كثير: (4/359).] [سورة الإسراء، الآيــة: 110]
فأسماءِ الله كثيرة، هي تُدلُّ على كمالِه وعظمتِه - سبحانه وتعـالى -، لا تدلُّ على تعدُّدِّ الآلهةِ - كما يقولون -، بـل تـدلُّ علـى العظمـة، وعلى الكمالِ.
أمـا الـذاتُ المجـرَّدةُ الـتي ليـس لهـا صـفاتٌ فهـذهِ لا وجـودَ لهـا، مستحيلٌ يوجدُ شيْء وليس له صفاتٌ، أبدًا، ولو علـى الأقـل صـفة الوجود.
ومــن شــبههم: " أن إثبــاتَ الصــفاتِ يقتضــي التشــبيه، لأنَّ هــذه الصفات يوجد مثلها في المخلوقين ".
وهذا قولٌ باطل، لأنَّ صفات الخالق تليق بـه، وصـفات المخلـوقين تليقُ بهم؛ فلا تشابه.
و " الجهميةُ " جمعوا إلى ضلالِهم في الأسماء والصفاتِ الجبرَ فـي القدر، لأن " الجهميةَ " يقولون: (إنَّ العبدَ ليس له مشـيئةٌ، وليـس له اختيارٌ، وإنما هو مُجْبَرٌ على أفعالِه).

ومعنى هذا: أنَّه إذا عُذِّبَ على المعصيةِ يكونُ مظلومًا، لأنَّها ليستْ فِعْلَهُ، وإنما هو مجبرٌ عليها - كما يقولون -، تعالى الله عن ذلك.
فهم جمعوا بين " الجبرِ في القدر "، وبين " التجهُّم في الأسماءِ والصفاتِ "، وجمعوا إلى ذلك " القولَ بالإرجاءِ "، وأضافوا إلى ذلكَ " القول بخلقِ القرآن " {ظلماتٌ بعضُها فوقَ بعضٍ}.
قال ابن القيم :
جِيْمٌ وجِيْمٌ ثُمَّ جِيْمٌ مَعْهُمَا ** مَقْرُونَةً مَعْ أَحْرُفٍ بِوِزَانِ
جَبْرٌ وإِرْجَاءٌ وَجِيْمُ تَجَهُّمٍ ** فَتَأَمَّلِ المجمُوعَ في الْمِيْزَانِ
فَاحْكُمْ بِطالِعِها لِمَنْ حَصُلَتْ ** بخلاصِهِ مِنْ رِبْقَةِ الإيمانِ
[نونية ابن القيم، ص: 115.]
يعني: جمعوا بين " جَبْرٍ " و " تَجَهُّمٍ " و "إرجاءٍ "، ثلاثُ جيمات، والجِيمُ الرابعةُ جِيمُ جهنَّم.
الحاصلُ: أن هذا " مذهبَ الجهميةِ "، والذي اشتهرَ فيه نفيُ الأسماءِ والصفاتِ عن الله - سبحانه وتعالى -، انشَقَّ عنه " مذهبُ المعتزلةَ "، و " مذهبُ الأشاعرة "، و " مذهبُ الماتريدية ".
و " مذهبُ المعتزلة ": أنهم أثبتوا الأسماءَ ونفوا الصفات، لكن أثبتوا أسماءً مجرَّدة، مجرَّدَ ألفاظٍ لا تدلُّ على معانٍ ولا صفاتٍ.
سُمُّوا " بالمعتزلة ": لأن إمامهم " واصل بن عطاء " كان من تلاميذ الحسن البصري - رحمه الله -، الإمامَ التابعي الجليل، فلمَّا سئُلَ الحسن البصري عن مرتكب الكبيرة، ما حكمه ؟. فقال بقولِ أهل السنَّةِ والجماعة: (إنه مؤمنٌ ناقصُ الإيمان، مؤمنٌ بإيمانِه فاسقٌ بكبيرته).
فلم يرضَ " واصلُ بنُ عطاء " بهذا الجواب من شيخه؛ فاعتزلَ وقال: (لا. أنا أرى أنه ليس بمؤمنٍ ولا كافر، وأنه في المنزلةِ بين المنزلتين). وانشَقَّ عن شيخه - الحسن - وصار في ناحيةِ المسجد، واجتمعَ عليه قومٌ من أوباشِ الناس وأخذوا بقوله.
وهكذا دعاةُ الضلالِ في كلِّ وقتٍ، لا بدَّ أن ينحازَ إليهم كثيرٌ من الناس، هذه حِكمةٌ من الله.
تركوا مجلسَ الحسنِ، شيخِ أهلِ السنّةِ، الذي مجلسُه مجلسُ الخيرِ، ومجلسُ العلمِ، وانحازوا إلى مجلسِ " المعتزلي: واصلِ بنِ عطاء " الضالِ المضِلِ.
ولهم أشباهٌ في زماننا، يتركونَ علماءَ أهلِ السنّة والجماعةِ، وينحازونَ إلى أصحابِ الفكرة المنحرف. [فتجدهم يقتنون أشرطتهم، وكتبهم، ويحرصون عليها، وإذا قلت لهم: إن في هذه الكتب ما يخالف معتقد أهل السنة والجماعة، السلف الصالح، من قول بخلق القرآن، أو من تأويل للصفات، أو من تحريض على أولياء الأمور، أو غيره. قالوا: " هذه أخطاءٌ بسيطةٌ، لا تمنعُ من

قراءتها واستماعها "، مع أن في كتب علمائنا - سلفًا وخلفًا - الغنية عنها وهكذا يضللون كل من سمعهم: {لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ} [النحل].
ألم يعلموا أن من سلفنا الصالح من هجر من قال ببدعةٍ واحدة، أو أوَّلَ صفةً واحدةً فقط ؟.
فهذا عبدُ الوهاب بنُ عبدِ الحكم الوراق، وهو من أصحاب أحمد - رحمهم الله - يسئل عن أبي ثور فقال: (ما أدين فيه إلا بقول أحمد بن حنبل: " يُهجرُ أبو ثور، ومَن قال بقوله ").
وذلك لأنه أول حديث الصورة، وخالف قول السلف فيها.
فكيف بمن لا تجمع أخطاءه ولا تحصيها إلا الكتبُ ؟؟!
ومع ذلك تسمعُ بعضَهم يقولُ: أخطاءٌ بسيطة لا تمنعُ من قراءتِها !!.
فلا حول ولا قوة إلا بالله.]
ومن ذلك الوقت سُمُّوا " بالمعتزلة "، لأنهم اعتزلوا أهلَ السنّة والجماعة؛ فصاروا ينفونَ الصفات عن الله - سبحانه وتعالى -، ويثبتون له أسماءَ مجرَّدة، ويحكُمون على مرتكبِ الكبيرة بما حَكَمَتْ به " الخوارجُ ": (أنه مخلّدٌ في النار)، لكن اختلفوا عن " الخوارج " في الدنيا، وقالوا: (إنه يكون بالمنزلة بين المنزلتين، ليس بمؤمن ولا كافر).
بينما " الخوارجُ " يقولون: (كافر).
يا سبحانَ الله ! هل يُعقَلُ أنَّ الإنسانَ لا يكونُ مؤمنًا ولا كافرًا ؟!.
والله - تعالى - يقول :
{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ}. [سورة التغابن، الآية: 2]
ما قال: ومنكم من هو بالمنزلة بين المنزلتين. لكن هل هؤلاء يفقهون ؟؟!!.
ثمَّ تَفَرَّعَ عن " مذهبِ المعتزلةِ " " مذهبُ الأشاعرة ".
و " الأشاعرة ": يُنسبونَ إلى " أبي الحسن الأشعري " - رحمه الله -.
وكان أبو الحسن الأشعري معتزليًا، ثم مَنَّ الله عليه، وعرفَ بطلانَ مذهب المعتزلة، فوقف في المسجد يومَ الجمعة وأعلنَ براءَتَهُ من مذهبِ المعتزلة، وخلعَ ثوبًا عليه وقال: (خلعتُ مذهبَ المعتزلةِ، كما خلعتُ ثوبي هذا). لكنَّه صار إلى " مذهبِ الكُلَّابِيَّة ": أتباعِ " عبدِ الله بن سعيد بن كُلَّاب ".
و" عبدُ الله بنُ سعيد بن كُلَّاب ": كان يُثبِتُ سبعَ صفاتٍ، وينفي ما عداها، يقول: (لأنَّ العقلَ لا يدُلُّ إلا على سبعِ صفاتٍ فقط: " العلمُ

"، و " القــدرةُ "، و " الإرادةُ "، و " الحيــاةُ "، و " الســمعُ "، و " البصرُ "، و " الكلامُ ") يقول: (هذه دَلَّ عليها العقل، أما ما لم يـدلُّ عليه العقل - عنده - فليس بثابتٍ).
ثم إنَّ الله مَـنَّ علـى " أبـي الحسـن الأشـعري "، وتـركَ " مـذهب الكُلَّابِيَّةِ "، ورجعَ إلى مذهبِ الإمام أحمد بن حنبل، وقال: (أنا أقولُ بما يقولُ به إمامُ أهلِ السـنَّة والجماعـة أحمـد بـن حنبـل: إنَّ اللـه استوى على العرش، وإنَّ له يدًا، وإنَّ له وجهًا). ذَكَرَ هذا في كتابه: " الإبانة عن أصول الديانة "، وذَكَرَ هذا في كتابه الثاني: " مقــالات الإسلاميين واختلاف المصلين " ذَكَرَ (أنَّه على مذهب الإمـام أحمـد بن حنبل). وإن بَقِيَتْ عندَهُ بعضُ المخالفات..
ولكنَّ أتباعَهُ بقوا على " مذهب الكُلابية "؛ فغالبُهم لا يزالـون علـى مذهبه الأول، ولذلك يُسَمّون " بالأشعرية ": نسبةً إلـى الأشـعري في مذهبه الأول.
أما بعدَ أن رجـعَ إلـى مـذهبِ أهـلِ السـنّة والجماعـة؛ فنسـبةُ هـذا المـذهب إليـه ظلـمٌ، والصـوابُ أن يُقـال: " مـذهبُ الكُلَّابِيَّـة "، لا مذهب أبي الحسن الأشـعري - رحمـه اللـه -؛ لأنـه تـابَ مـن هـذا، وصَـنَّفَ فـي ذلـك كتـابه: " الإبانـة عـن أصـول الديانـة "، وصَـرَّح برجوعه، وتمسّكِه بما كان عليه أهـلُ السـنّة والجماعـة - خصوصًـا الإمـام: أحمـد بـن حنبـل رحمـه اللـه -، وإن كـانت عنـدَه بعـضُ المخالفات، مثـلُ قـولِه فـي الكلام: (إنَّـه المعنـى النفسـي القـائم بالذات، والقرآن حكاية - أو عبارة - عن كلام الله، لا أنَّه كلامُ الله).
هذا " مذهبُ الأشاعرة "، منشَقٌّ عن " مذهبِ المعتزلةِ ".
" ومذهبُ المعتزلةِ " منشَقٌّ عن " مذهبِ الجهمية ".
ثُمَّ تفرَّعت مذاهبُ كثيرةٌ، كلُّها أصلُها " مذهبُ الجهمية ".
هذه - تقريبًا - أصول الفِرَقِ [قال ابن أبي رندقه الطرطوشي في كتابه " كتاب الحوادث والبدع " ص: 14: (اعلم أن علماءنا - رضي الله عنهم - قـالوا: أصـول البـدع أربعـة، وسـائر الأصـناف الاثنـتين وسبعين فرقة من هؤلاء تفرقوا وتشعبوا، وهم: " الخوارج " وهــي أول فرقة خرجت على علي بن أبي طالب - رضي اللـه عنـه -، و " الروافض "، و " القدرية "، و " المرجئة ").]
على الترتيب.
أولاً: " القدريةُ ".
ثُمَّ: " الشيعةُ ".
ثُمَّ: " الخوراجُ ".
ثُمَّ: " الجهمية ".
هذه أصول الفِرَق.

وتفرَّقت بعدها فِـرَقٌ كـثيرةٌ لا يحصـيها إلا اللـه، وصُـنِّفتْ فـي هـذا كتبٌ، منها :
1 - كتاب: " الفَرْق بين الفِرَق " للبغدادي.
2 - كتاب: " المِلل والنِّحَل " لمحمّد بن عبد الكريم الشهرستاني.
3 - كتاب: " الفِصَل في المِلل والنِّحَل " لابن حزم.
4 - كتاب: " مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين " لأبي الحسـن الأشعري.
كُلُّ هذه الكتـب فـي بيـان الفِـرَقِ، وتنوّعِهـا، وتعـدادِها، واختلافِهـا، وتطوراتِها.
ولا تزالُ إلى عصرنا هذا تتطوّر، وتزيدُ، وينشأُ عنها مـذاهبُ أخـرى، وتنشَقُّ عنها أفكارٌ جديدةٌ منبثقةٌ عن أصلِ الفكرة، ولـم يبـقَ علـى الحقِّ إلا أهلُ السنّة والجماعة، في كُلِّ زمانٍ ومكان هم على الحق إلى أن تقومَ الساعةُ، كما قـال صـلى اللـه عليـه وسـلم: (لا تـزالُ طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضـرُّهم مـن خـذَلهم حـتى يأتي أمرُ الله وهم كذلك). [سبق تخريجه ص: (21).]
أهلُ السنّة والجماعة - والحمدُ للهِ - يخالفون " القدرية النفاة ":
فيؤمنون بالقدر، وأنَّه من أركان الإيمان الستة، وأنه لا يحصُـلُ فـي هذا الكونِ شيءٌ إلا بقضائه وقدره - سبحانه وتعالى -، لأنَّه الخلاَّق، الربُّ، المالَكُ، المتصرفُ :
{اللَّهُ خَـالِقُ كُـلِّ شَـيْءٍ وَهُـوَ عَلَـى كُـلِّ شَـيْءٍ وَكِيـلٌ. لَـهُ مَقَالِيـدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}. [سورة الزمر]
لا أحدَ يتصرَّفُ فـي هـذا الكـونِ إلا بمشـيئتِه - سـبحانه -، وإرادتِـه، وقدرتِه، وتقديرِه.
عَلِـمَ اللـه مـا كـان، ومـا سـيكون فـي الأزَلِ، ثـم كتبـه فـي اللـوحِ المحفوظِ، ثم شاءَه وأوجدَه وخلقَه - سبحانه وتعالى -.
وأنَّ للعبد مشيئةً، وكسبًا، واختيـارًا، لا أنَّـه مسـلوبُ الإرادَةِ، مُجْبَـرٌ على أفعالهِ - كما تقول " الجبرية الغُلاة " -؛ فهم يخالفونهم.
ومذهبُهم في صـحابة رسـولِ اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: أنَّهـم يوالونَهم كلَّهم، أهلَ البيت وغيرَ أهل البيت، يوالون الصحابة كلهـم، المهاجرين، والأنصـار، والـذين اتبعـوهم بإحسـان، ويمتثلـونَ بـذلك قولَهُ - تعالى -:
{وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِـرْ لَنَـا وَلِإِخْوَانِنَـا الَّـذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِـي قُلُوبِنَـا غِلًّا لِّلَّـذِينَ آمَنُـوا}. [سـورة الحشر، الآية: 10]
فهم يخالفون " الشيعة "، لأنَّهم يفرِّقون بينَ أصـحابِ رسـولِ اللـه صلى الله عليه وسـلم فيوالـون بعضـهم، ويعـادون بعضـهم. فأهـلُ السـنّة يوالـونهم جميعًـا، ويحبـونهم جميعًـا، والصـحابةُ يتفاضـلون،

وأفضلُهم: الخلفاءُ الراشدون، ثم بقيّة العشرة، ثم المهاجرون أفضلُ من الأنصار، وأصحابُ بدرٍ لهم فضيلةٌ، وأصحابُ بيعةِ الرضوانِ لهم فضيلةٌ، فلهم فضائلُ - رضي الله عنهم -.
ويعتقدون: السمعَ والطاعةَ - خلافًا " للخوارج " -؛ فهم يعتقدون السمعَ والطاعةَ لولاةِ أمورِ المسلمين، ولا يرونَ الخروجَ على إمامِ المسلمين، وإنْ حصَلَ منه خطأ، ما دامَ هذا الخطأُ دون الكفر، ودون الشرك، حيث نهى صلى الله عليه وسلم عن الخروجِ عليهم لمجرَّدِ المعاصي، وقال: (إلا أن تروا كفرًا بواحًا، عندَكم فيه من الله برهان). [جزءٌ من حديثِ عبادة بن الصامت، ولفظه: (دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا، أن بايعنا على السمع والطاعة، في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثَرَةٍ علينا، وأن لا نُنَازع الأمر أهله - قال: - إلا أن تروا كفرًا بواحًا، عندكم من الله فيه برهان).
رواه البخاري: (7056)، ومسلم: (3/1470) (42).]
وكذلك هم يخالفون " الجهمية " ومشتقاتهم في أسماء الله وصفاته: فيؤمنونَ بما وصفَ الله به نفسَهُ، وما وصَفَهُ به رسولُه صلى الله عليه وسلم، ويتَّبعون في ذلك الكتابَ والسنَّة، من غير تشبيهٍ ولا تمثيل، من غير تحريفٍ ولا تعطيل، على حَدِّ قوله - سبحانه وتعالى -: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}.
[سورة الشورى]
فمذهبُ أهلِ السنّةِ والجماعةِ - وللهِ الحمدِ - جامِعٌ للحقِّ كُلِّه، في جميعِ الأبوابِ، وفي جميعِ المسائل، ومخالفٌ لكُلِّ ما عليه الفِرَقُ الضالّةُ والنِّحَلُ الباطلة.
فمن أراد النجاةَ فهذا مذهبُ أهلِ السنّةِ والجماعة.
وأهلُ السنّةِ والجماعةِ في بابِ العبادةِ: يعبدونَ الله على مقتضَى ما جاءَتْ به الشريعةُ، خلافًا " للصوفيةِ " و " المبتدعةِ " و " الخرافيين "، الذين لا يتقَّيدونَ في عبادتِهم بالكتابِ والسنّةِ، بل يتبعونَ في ذلك ما رَسَمَهُ لهم شيوخُ الطُرقِ، وأئمةُ الضلال.
نسألُ اللهَ أنْ يجعلني وإياكم من أهلِ السنّةِ والجماعةِ؛ بمَنِّهِ وكرَمِهِ، وأن يرينا الحقَّ حقًّا ويرزقنا اتباعَهُ، وأنْ يرينا الباطلَ باطلاً ويرزقَنا اجتنابَهُ. إنه سميعٌ مجيب.
هذا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

$الإجابة على بعض الأسئلة
وسئل الشيخُ - حفظه الله - بعد المحاضرةِ عدَّةَ أسئلة، منها :
$$السؤال الأول:
لقد نهَى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عن الغُلو في الدين؛ فهل سببُ انحرافِ الفِرَقِ عن أهلِ السنّةِ والجماعةِ الغُلو ؟. وما أمثلةُ ذلك من الفِرَق ؟.
الجواب :
" الخوارجُ " ظاهرٌ أن سببَ انحرافِهم الغُلو في الدين؛ لأنَّهم تشدَّدُوا في العبادةِ على غيرِ هُدى وبصيرة، وأطلقوا على الناسِ الكُفْرَ عن غيرِ بصيرة، لأنَّهم يخالفونهم في مذهبهم.
فلا شك أن الغلو في الدين هو أساس البلاء، قال - تعالى - :
{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ}. [سورة المائدة، الآية: 77]
قال صلى الله عليه وسلم: " إياكم والغلو؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو ". [أخرجه أحمد: (1/215، 347)، والنسائي: (5/268 - 269)، وابن ماجة: (3029)، وابن أبي عاصم: (98)، وابن خزيمة: (4/274)، وابن الجارود في " المنتقى ": (473)، وابن حبان: (1011)، والطبراني في " الكبير ": (12747)، والحاكم: (1/466)، والبيهقي: (5/127)، وأبو يعلى الموصلي: (4/316، 357) من حديث ابن عباس - رضي الله عنه -.]
والغلو في كل شيء هو: الزيادة عن الحد المطلوب (وكل شيء تجاوز حده انقلب إلى ضده).
ونجد أن " المعطلة للصفات " سبب انحرافهم الغلو في التنزيه، وسبب انحراف " الممثلة والمشبهة " غلوهم في الإثبات.
فالغلو بلاء، والوسط والاعتدال هو الخير في كل الأمور.
فلا شك أن للغلو دورًا في ضلال الفرق عن الحق، كل غلوه بحسبه.

$$السؤال الثاني :
فضيلة الشيخ: يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة) [سبق تخريجه ص: (14).]
فهل العدد محصور أو لا ؟.
الجواب :
ليس هذا من باب الحصر؛ لأن الفرق كثيرة جدًا، إذا طالعتم في كتب الفرق وجدتم أنهم فرق كثيرة، لكن - والله أعلم - ان هذه الثلاث والسبعين هي أصول الفرق، ثم تشعبت منها فرق كثيرة.

وما الجماعات المعاصرة الآن، المخالفـة لجماعـة أهـل السـنة؛ إلا امتداد لهذه الفرق، وفروع عنها.

$$السؤال الثالث :
هل هناك فرق بين " الفرق الناجية " و " الطائفة المنصورة " ؟.
الجواب :
أبدًا، " الفرقة الناجية " هـي " المنصـورة ". لا تكـونُ " ناجيـةً " إلا إذا كانت " منصورةً "، ولا تكون " منصـورةً " إلا إذا كـانتْ " ناجيـةً "، هذه أوصافُهم: " أهلُ السنةِ والجماعة "، " الفرقـة الناجيـة "، " الطائفة المنصورة ".
ومن أراد أن يفرق بين هذه الصفات، ويجعـل هـذه لبعضـهم وهـذه لبعضهم الآخر؛ فهو يريد أن يفـرق أهـل السـنة والجماعـة، فيجعـل بعضهم فرقة ناجية، وبعضهم طائفة منصورة.
وهذا خطأ؛ لأنهم جماعة واحـدة، تجتمـع فيهـا كـل صـفات الكمـال والمدح، فهم " أهل السنة والجماعـة "، وهـم " الفرقـة الناجيـة "، وهم " الطائفة المنصورة "، وهم " الباقون علـى الحـق إلـى قيـام الساعة "، وهم " الغرباء في آخر الزمان ".